خطبة صلاة الجمعة 14/1/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الحِلْمُ عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الخامسة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

الحِلْمُ عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها

أيها الإخوة:

سبق أنّ الخُلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

الحِلم كلمة تدلُّ على الأناة وترك العجلة، وعلى التعقل وترك الطيش.

والحليم في أسماء الله تعالى الحسنى هو الذي لا يستخفّه عصيان العصاة ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام منهم مع غاية الاقتدار.

والحليم من الناس هو من يتأنى ويضبط نفسه عند هيجان الغضب.

والناس في ثباتهم أمام المثيرات درجات؛ فمنهم من تستخفه التوافه فيُستحمَق على عجل، ومنهم من لا تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظاً برجاحة عقله وحميد خلقه، ألا وإنّ خير ما يعطي الله رجلاً بعد الإيمان علمٌ زانه الحلم، وإن شرَّ ما يتصف به امرؤ جهل مازجه الطيش.

وإذا كان حديث اليوم عن الحِلم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- أخرج أبو يعلى وابن حبان بسند جيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان متاعي فيه خِفّ (الشيء الخفيف)، وكان على جمل ناج (جمل سريع)، وكان متاع صفيّة فيه ثِقْلٌ، وكان على جمل ثقَال بطيء يتبطّأ بالركب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **«حوّلوا متاع عائشة على جمل صفيّة، وحوّلوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الرّكب»** قالت عائشة: فلما رأيت ذلك، قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أمّ عبد الله، إن متاعك فيه خفّ، وكان متاع صفية فيه ثقل فأبطأ بالرّكب فحوّلنا متاعها على بعيرك، وحوّلنا متاعك على بعيرها» فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: «أو في هذا شكّ يا أم عبد الله؟ قالت: فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ فهلّا عدّلت. فسمعني أبو بكر وكان فيه غرب أي حدّة فأقبل علي فلطم وجهي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم «مهلاً يا أبا بكر»، فقال: يا رسول الله أما سمعت ما قالت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **«إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»**.

إنها صورة من صور حلم النبي صلى الله عليه وسلم على أزواجه.

2- وأخرج أبو داود والنّسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا في المسجد يُحدّثنا، فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دَخَلَ بعضَ بيوت أزواجه، فحدّثَنا يوماً، فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فَجَبَذَه بردائه، فحمرّ رقَبته، وكان رِداء خشناً فالتفت إليه، فقال الأعرابي: احملني على بعيريَّ هذين، فإنك لا تحملني من مالك، ولا من مال أبيك، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا، وأستغفرُ الله، لا، وأستغفر الله، لا، وأستغفر الله، لا أحملك حتى تُقِيدَني من جَبْذَتِكَ التي جبذتني، فكل ذلك يقول الأعرابي: والله لا أُقيدكها، فلما سمعنا قول الأعرابي، أقبلنا إليه سِرَاعاً، فالتفتَ إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عزمتُ على مَنْ سَمِعَ كلامي أن لا يبرح مقامه حتى آذَن له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من القوم: احمل له بعيريه هذين، على بعير شعيراً، وعلى الآخر تمراً، ثم التفت إلينا، فقال: انْصَرِفُوا على بركة الله عز وجل» أخرجه أبو داود.

إنها صورة من صور حلم النبي صلى الله عليه وسلم على جفاة الناس.

3- تروي كتب السيرة أن زعيم المنافقين في المدينة عبد الله بن أبي بن سلول كان يمشي بالفتنة بين الناس، وأشار عدد من المسلمين منهم عمر على النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا.

وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله يمضي في شططه حتى أنكره قومه، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنُفٌ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري.

إنها صورة من صور حلم النبي صلى الله عليه وسلم على المنافقين.

والحاصل أن الحِلم خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون الحلم خلقك، وأن تكون معروفاً به.

تأخر الابن ليلاً بالعود إلى المنزل، فغضب الأب وأقسم أن يغلق دونه الباب، وجد الابن الباب مقفلاً فعاد إلى بيت صاحبه لينام عنده ويعتاد بعدها على النوم خارج المنزل، الأمر الذي خيف معه من زلات وزلات، ولو حَلُمَ الأب وتأنّى لكان أفضل.

الحلم هو التأني وضبط النفس عند هيجان الغضب، ولا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله.

أزعجته زوجته فغضب وطلّق، وبعد ساعة أو ساعتين تذكّر أنها الطلقةُ الثالثة، فراح يراجع الشيوخ لينظروا هل من مخرج لورطته إذ لايطيق صبراً على فراق زوجته ولا يجد لبناته الصغيرات مربية خيراً من أمهن.

الحلم هو التأني وضبط النفس عند هيجان الغضب، ولا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله.

انزعج صاحب محل الساعات من أحد زبائنه لكثرة مماكسته وتدقيقه، فما كان منه لما خرج الزبون إلا أن ضرب يده بقوة على الطاولة أمامه فكُسر زجاج الطاولة وشُقَّت يده وذهب للمشفى ليخيط له الطبيب عشرين قطبة في ساعده.

الحلم هو التأني وضبط النفس عند هيجان الغضب، ولا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله.

تسابق سائقاْ سيارتي أجرة للوصول إلى الزبون فسبق أحدهما فغضب الآخر وشتم، فتلاسنان، ثم ترجلا من سيارتيهما وتضاربان، وجاءت الشرطة لتأخذهما إلى النظارة وسيقضيان أياماً في الحبس وسيدفعان قليلا أو كثيرا.

الحلم هو التأني وضبط النفس عند هيجان الغضب، ولا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله.

شتم بعض سُفهاء البصرة الأحنف بن قيس شتماً قبيحاً، فحلُم عنه، فقيل له في ذلك، فقال: دعوه فإني قد قَتَلتُه بالحِلم عنه، وسيقتُلُ نفسه بجرأته وسفهه.

فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفيه وشتم زياداً أمير البصرة، وظنَّ أنه كالأحنف فأمر زياد به فقُطِعَ لسانه ويده.

الحلم هو التأني وضبط النفس عند هيجان الغضب، ولا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حلمه جهله.

أيها الإخوة:

أهم ما في هذه الخطب الناحية العملية فيها وهي كيف يتحلى المرء بالحلم؟

يعين المرء على التحلي بالحلم التدرب على الحلم فقد قيل العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم وبإمكانك التدرب على الحلم بخمسة:

1- **إذا غضبت فلا تتكلم**: أخرج الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**».

2- **إذا غضبت فتوضأ**: أخرج أبو داود عن عبد الله بن بجير قال: دخلنا على عروة بن محمَّد السعدي فكلّمه رجل فأغضبه، فقام فتوضأ فقال: حدثني أبي عن جدي عطية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النَّار، وإنما تُطْفَأُ النَّار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**».

3- **إذا غضبت فغيّر حالتك**: إن كنت ماشياً فقف وإن كنت واقفاً فاقعد وإن كنت قاعداً فاضطجع، روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»

4- **إذا غضبت فاكظم غيظك**: فـ «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن يُنْفِذَه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من أيّ الحور شاء**» [الترمذي].

5- **أكثر من ذكر الله على كل حال**: قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، وقال في سورة فصلت: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين